الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

- **المقياس:**

" **مدخل إلى الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية** ".

- **نوع الحصة:** تطبيـق .
- **إعداد الأستاذ:** بوعمامة وحيد .

- **الدرس الثالث بعنوان:**

# رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب:

# ( La grande maison)

- **المستـوى:** السنة الثانية آداب ( ليسانس ).
- **الأفـــواج:** الفوج السادس (06) والفوج السابع (07) .
- **العام الدراسي:** 2021 / 2022 .

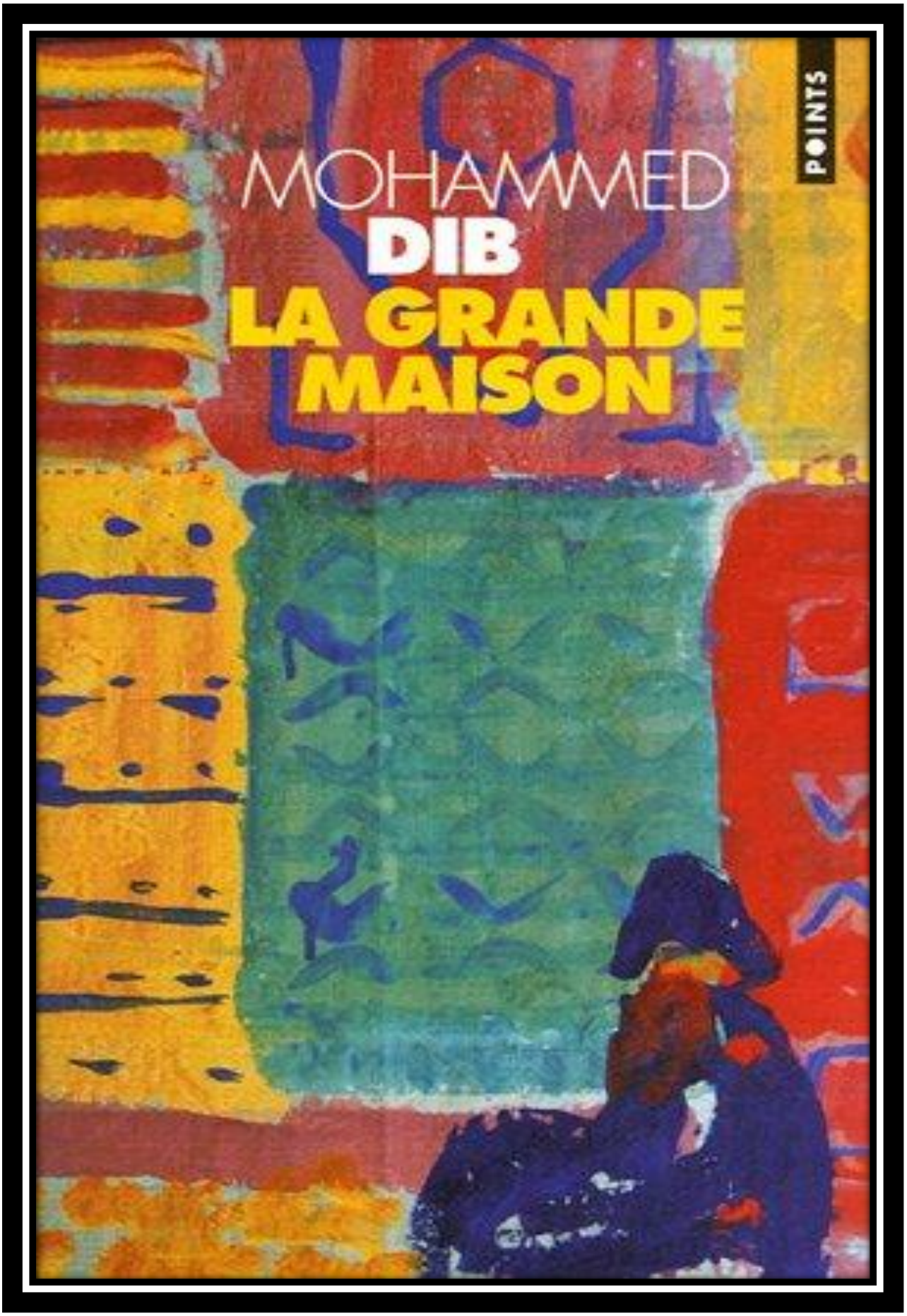
POINTS
MOHAMMED
DIB
LA GRANDE
MAISON

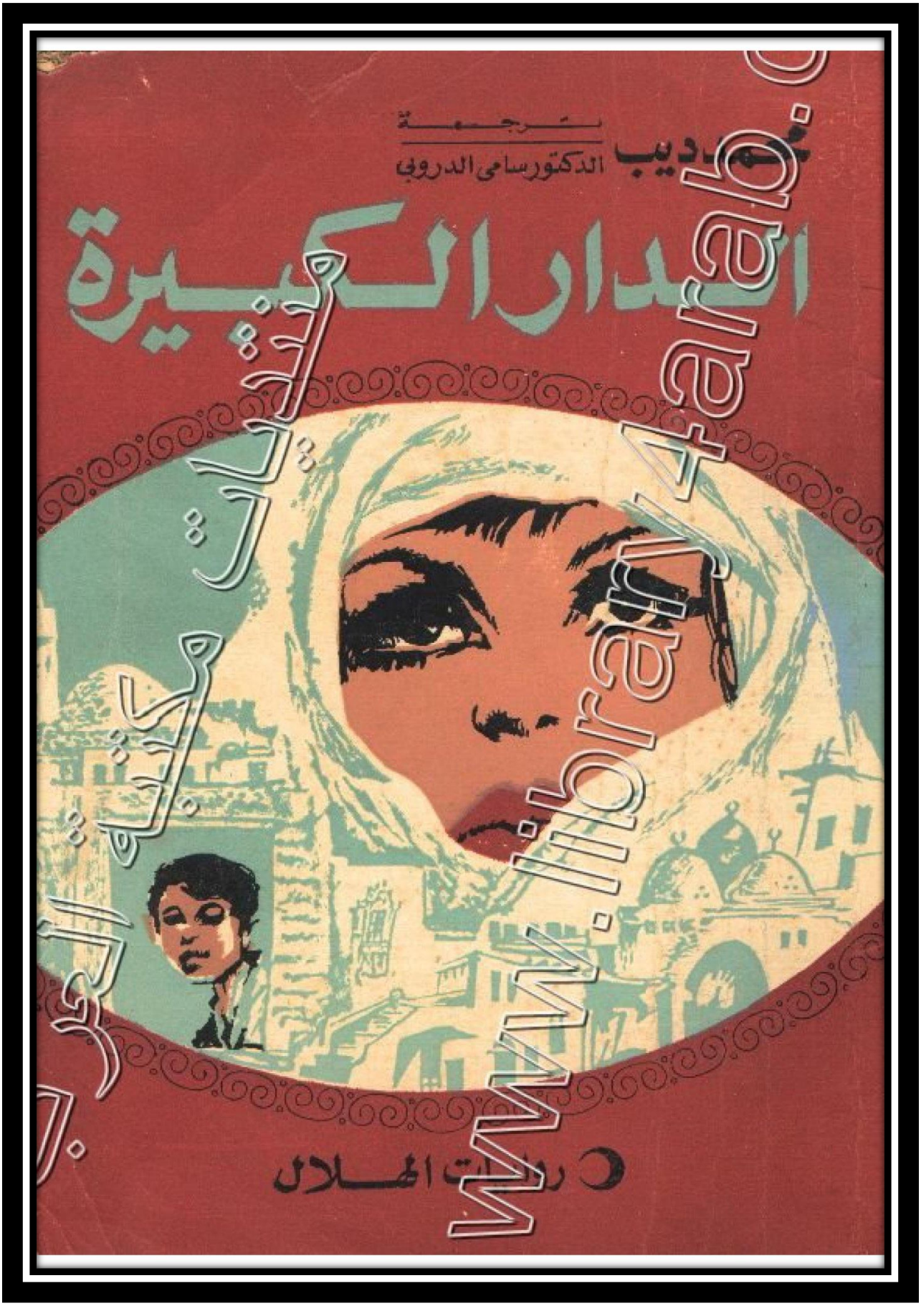
ديب
ترجمة
الدكتور سامي الدروبي
الدار الكبيرة
روايات الهلال
www.ibrary.tarab.com

## الدار الكبيرة محمد ديب:

**تمهيـــد:**

عندما نتصفح أوراق وملفات الأدب الجزائري الحديث، تصادفنا وتصافحنا أسماء ورموز عديدة، باللغتين العربية والفرنسية، ويظل اسم " **محمد ديب** " يواجهنا في كل واجهة أو زاوية، أليست ثلاثيته الشهيرة قمة إبداعه ؟، ألم يستخدم لغة المستعمر كسلاح حاد لمقاومة الظلم والقهر والاستغلال؟، ثم أليس هو القائل بأن كل قوى الخلق والإبداع لدى كتابنا وفنانينا، بوقوفها في خدمة إخوانهم المظلومين، تجعل من الثقافة سلاحا قويا من أسلحة المعركة من أجل الحرية، ومن هذا المنطلق تندرج هذه رواية " **الدار الكبيرة** " ضمن " **الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية** "، ألفها " **محمد ديب** " سنة 1939م، والجدير بالذكر أن هذه الرواية تعتبر الجزء الأول من ثلاثيته التي تضم معها كلا من " **الحريق، النول** " والتي يتحدث فيها " **محمد ديب** " عن مجمع سكني سماه في هذه الرواية بـ :" **دار سبيطار**" يصفه على أنه مجمع يضم مجموعة كبيرة من العائلات التي كان معظمهما من الطبقة الفقيرة والمعوزة، عائلات كانت في صراع مرير مع الفقر والعوز، في رحلة طويلة ومريرة للبحث عن قوت يومهم إبان فترة الاحتلال الفرنسي .

رواية " **الدار الكبيرة** " نشرت سنة 1952 أي قبل سنتين من اندلاع شرارة الثورة التحريرية، واستطاع الأديب محمد ديب ببراعته الفنية الفائقة أن يجسد واقع الجماهير، وهي تكد وتكدح وتتطلع إلى الغد المشرف والمشرق، وتتميز هذه الرواية بقوة المضمون وسلامة الأسلوب، ووضوح الفكرة، ودقة الوصف، لكونها ( رواية ) مشوقة بالفعل، بتسلسل وقائعها، ودفء حوارها، وعمق دلالاتها وأبعادها، وهي بذلك تنقلنا بكل بساطة، إلى تلك الأحداث، لنعايشها بأم العين عن كتب، و هي أيضا أهم عمل أدبي، يمكنك قراءة ترجمته وكأنك تطالع النسخة الأصلية، بصدقها وحرارتها وكيف لا؟.. وصاحب الترجمة هو الدكتور " **سامي الدروبي** " الذي حصل على جائزة " **اللوتس** " العالمية في مجال الترجمة بالذات، وقد أنجز ترجمة الرواية في أول نوفمبر 1960. وقد نشرت رواية الدار الكبيرة لأول مرة باللغة العربية، في حلقات يومية بجريدة الجمهورية التي تصدر بوهران، ابتداء من 12جويلية 1986مع كلمة تقديمية بالمناسبة[1].

## ❖ قـراءة في الروايـــة:

لقد جعل " **محمد ديب** " من شخصية " **عمر** " شخصية محورية مهمة في الرواية، لكون هذا الفتى الصغير نموذج للبراءة التي تتمتع بقوة وحيوية كبيرة وأمل في الحياة، هذا لكون " **عمر** " كأي طفل يقترب من سن الرشد كونه يحتفظ ببراءة معينة. تحدد الافتتاحية الطفل ، الشخصية المركزية في الرواية ، من خلال سياق البؤس الذي يجب أن يعيش فيه. يعيش عمر مع والدته وأخواته وجدته في شقة في " **دار سبيطار** "، المنزل الكبير الذي يمكن اعتباره مدينة بحد ذاتها في سياق الفقر المدقع لكنها تعج بالحياة، ومن هذا المنطلق كان " **عمر** " الجزء الواقعي للكتاب – **وقائع الحياة اليومية لأهل تلمسان** – ، والذي كان يهدف في الأساس إلى إظهار واقع المستعمر من جهة ولنشر الوعي بين أفراد المجتمع الجزائري آنذاك من جهة أخرى، فهذ الرواية تعتبر استنكارا قويا للنظام الاستعماري القائم آنذاك، وكذا تمثل الالتزام السياسي لمحمد ديب. يتحدى الروائي من خلال رواياته الرواية الاستعمارية ويقدم الجزائري لأول مرة على الساحة الرومانسية التي كانت مستبعدة حتى الآن ، و" **أعاد إليه الكلمة التي كانت قد صودرت منه** "[2].

## ❖ أولا: صورة رعب المحتل:

تدور أحداث الرواية " **الدار الكبيرة** " حول الطفل " **عمر** " الذي لا يتجاوز الاثني عشر عاما، وأمه " **عيني** " التي تكافح لكي تطعم عائلتها، بحيث تناول الكاتب أوضاع المجتمع الجزائري من خلال التركيز على أشخاص معينين في هذا المجمع السكني، وكيف كانوا يعيشون ويفكرون ويتعاملون مع بعضهم البعض في ظل واقع الاستعمار الاستيطاني الذي كان بدوره شديد الوطأة على الشعب الجزائري، حيث تتم معاملة الجزائريين بطرق بعيدة عن الانسانية والكرامة والحرية، من هنا تكون المشاعر الوطنية حية لكنها لا تظهر علانية، وذلك بسبب القسوة التي يعامل بها المحتل المواطنين، وخير مثال على ذلك شخصية " الأستاذ حسن " الذي كسر حاجز الخوف ويتخطى كل ما هو المحظور ويتكلم للطلاب باللغة العربية الممنوعة، موضحا لهم بأن وطنهم ليس فرنسا في قوله: " **ليس صحيحا ما يقال لكم من أن فرنسا هي وطنكم** "[3] ،

لقد كانت مثل هذه الكلمات والجرأة بمثابة خطر كبير تكلّف صاحبها وظيفته ووحريته المحدودة وتضعه بمواجهة خطر الاعتقال والتعذيب والموت غالبا على يد أشرس احتلال " **الاستيطاني** " يكن الحقد لكل ما هو جزائري، من هنا نجد المعلم يشعر بأنه أقدم على شيء خطير جدا، ويظهر هذا عليه " **وسيطر على الأستاذ حسن على نفسه، ولكنه ظل يبدو مضطربا خلال بضع دقائق. كان يلوح عليه انه يهم بان يقول شيئا آخر أيضا، لكن ما عساه يقول ... أليس ثمة قوة اكبر منه تمنعه من أن يقول ما يريد قوله، وهكذا لم يعلم الصبية ما هو وطنهم**"[4]، لقد كان صراع حقيقي بين قول الحقيقة والصمت كان يشكل هاجسا عند المعلم، من هنا قال شيئا ولم يجرؤ على إكماله، وهذه مسألة في غاية الخطورة، لكن القليل الذي قدمه للطلاب جعلهم يعيدوا التفكير فيما يدرس لهم، وهذا كافا، إذا ما أضيف له المعاملة السيئة التي يتلقها المواطنون من المحتل[5].

لقد بين الكاتب أن الأستاذ " **حسن** " في الرواية إنسان يشعر بالخوف من الاستعمار الفرنسي وبطشه من جهة، ومحب للحرية والتحرر من قبضة الاحتلال وكل تعاليمه الفارغة المزيفة من جهة أخرى.

ومن هذا المنطلق نجد أن شخصيات الرواية هي قريبة جدا من إلى الواقعية، فالرواية هي واقعية بامتياز، لا يوجد فيها إي رمزية ، كما أن أحداثها اقرب إلى الوقائع التاريخية، التي عانى منها الشعب الجزائري.

❖ **ثانيا: صورة الرجل السلبي:**

لقد رسم لنا " **محمد ديب** " من خلال أحداث الرواية الصورة السلبية للرجل على لسان النساء العاملات والمكافحات في سبيل لقمة العيش، فكان يصف هذا النوع من الرجال بشكل شكل دائم بالتخاذل والتقاعس وعدم الأقدام على العمل، فها هي " **عيني** " تتحدث لولدها عمر عن والده بصورة تحمل الحنق والقهر والبؤس، ليس على الوالد وحسب بل على الأوضاع والاستعمار أيضا في قول " **عيني**":" **هذا كل ما تركه لنا أبوك، ذلك الرجل لا يصلح لشيء، ترك لنا البؤس، غيب وجهه في التراب، وسقطت علي جميع أنواع الشقاء، ... هو الآن هادئ في قبره.. لم يفكر يوما**

**في ادخار قرش واحد.. وها انتم تتشبثون بي كالعلق الذي يمتص الدم ... لقد كنت غبية .. كان ينبغي أن أترككم في الشارع، أن اهرب إلى جبل خال مقفر** "[6].

من خلال هذا الكلام نستدل على الحالة المزرية التي تعيشها العائلة، فلا معيل لها سوى المرأة ( **عيني** )، هي من يوفر الاحتياجات لها، ورغم تواضع هذه المتطلبات وقلتها إلا أن من يستطيع في ظل الاحتلال أن يجلب رغيف الخبز يكون قد أنجز أمرا عظيما.

لم تكن الأم " **عيني** " تكلم ولدها بهذه الكيفية فقط، بل أيضا تكلمت مع أمها " **الجدة** " بطريقة اشد وأكثر قسوة، وكأنها ليست ابنتها، بل امرأة من خارج العائلة، " **كانت عيني منتصبة على ركبتيها تقذف حقدها في وجه الجدة:**

- **ليت الموت يأخذك، لماذا لم ترفضي أن يحملوك إلى هنا؟.**
- **ماذا كان بوسعي أن افعله يا ابنتي؟.**
- **امرأته هي التي أرسلتك إلي، إنه مستعد لأن يلعق قدميها، إنها هي من تعمل لتطعمه، أما هو فيقضي وقته في التسكع بين المقاهي .. ابن الكلب ..** "[7].

صورة أخرى عن الرجل المتعالي على زوجته، القاعد مع القاعدين، بلا عمل أو فعل مفيد، يترك زوجته تعمل " **عيني** " بحيث كانت تتناول الرجال ( **الزوج والأخ** ) بسلبية، وكأن الرجال في المجتمع الجزائري إبان الاحتلال لم يكونوا يصلحوا إلا للجنس فقط، فهم كسالى أتكالين لا يعملون، ومع هذا الواقع غير عادل تحمل " **عيني** " أفكار المجتمع ألذكوري بامتياز، فهي كامرأة شرقية تفكر بأن السيادة يجب أن تكون للرجل، رغم أن الواقع يفند هذه الأفكار، فمن خلال زوجها الذي مات دون أن يترك لها قرشا واحد، إلى أخاها القاعد والمتواكل على زوجته، إلى رجال المجمع السكني، الذين لا يصلحون لشيء، ومع كل السلبيات تفكر بالرجل القادم، ابنها عمر، "**متى يكبر عمر، ابنها، فيحمل عنها بعض هذا العبء؟ البنت لا يمكن الاعتماد عليها. وإنما يجب إطعامها، حتى إذا شبت عن الطوق أصبح واجبا أن نراقبها مراقبة دقيقة، فهي في سن البلوغ أسوأ من حية، فما أن تغفلي عنها قليلا حتى ترتكب الحماقات. ثم لا بد لك أن تقصدي عروقك حتى تهيئي لها جهازا قبل أن تتخلصي منها** "[8].

❖ **ثالثا: الطفل في ظل الاحتلال والجوع:**

يعتبر الأطفال في ظل الاحتلال أكثر شريحة عرضة للقمع والمعاملة، إن كانت من المحتل نفسه، أم من الأهل، الذين يعتبرون أطفالهم المتنفس لهم، فتنعكس حالة القمع التي يعانون منها في سلوكهم مع أطفالهم، فنجدهم يفرغون كل الكبت والقهر على هؤلاء الأطفال، وكأنهم ( الأطفال ) هم من يقوم يقمع الأهل وليس الآخر المحتل، كما إن الأطفال بطبيعتهم البسيطة يرفضون القمع والاضطهاد مهما كان فاعله، وأيا كانت دافعه، من تداعيات ذلك في الرواية قيام " **عمـر** " بالتمرد على حالة القمع التي تمارسها أمه "**عيني**" على الجدة فيثور عليها قولا وفعلا، متجاهلا بأن من يثور عليها هي أمه، " **وهرب ... فأسرعت تركض وراءه، لكنه اجتاز فناء البيت بوثبة واحدة.. اخرسي يا ... عاهرة ... يلعن أبوك، يا ملعونة، تلعن أمك..** "[9]، ومن هنا لابد من ربط ثورة " عمر " بالحالة الاجتماعية والاقتصادية وما تشكله من أفكار ومفاهيم عند الأفراد فالمسألة تلعب دورا حيويا في سلوك " **عمر**" الذي يعاني الجوع والقهر والفقر وفقدان الأب، لا بد أن يكون بهذه القسوة اتجاه أمه، فهي من خلال معاملتها القاسية للجدة جعلت مشاعر ابنها عمر تتأجج، فهي لم تكن ضد الأم ولكنها ضد سلوكها السيئ.

❖ **خاتمـــــة:**

وفي الأخير وجب التنويه إلى أن رواية " **الدار الكبيرة** " باتت مرجعا روائيا بامتياز، لكن هذا الصوت الذي خطّ بكبرياء وانفراد الهوية الجزائرية كان هامسا لا صارخا، واختار " **محمد ديب** " أن تكون لغتها وحياته بعيدين عن الأرض التي عشقها، " **محمد ديب** " الذي أبى أن يبقى بعيدا وملاحظا لا مشاركا ومبدعا لا دخيلا، وظلّ لسنوات في أذهان الجزائريين، ذاك الذي عكس سرّ وجودهم وخلّد " **لالة عيني** " و" **عمر** " في أذهانهم وكانا رمزين من رموز " **الميزيرية الجزائرية** "[10].

## ❖ للمزيد من المعلومات حول الدرس يرجى العودة للمراجع التالية:

(1): **ينظر**: بلقاسم عبد الله، " **محمد ديب وبيته الكبير** "، **ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 2011/05/14**، **www.diwanalarab.com/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%AF%D9%8A%D8%A8-%D9%88%D8%A8%D9%8A%D8%AA%D9%87**

(1) : LA GRANDE MAISON, https://www.etudier.com/dissertations/La-Grande-Maison/479412.html

(1): محمد ديب، " **الدار الكبيرة** "، دار الهلال، العدد 262، أكتوبر 1980، ص 25.

(2): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3): **ينظر**: رائد الحواري، " **الدار الكبيرة محمد ديب** "، الحوار المتمدن، 2014/03/21، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=406554

(4): محمد ديب، المرجع نفسه، ص 30.

(5): المرجع نفسه، ص 31.

(6): المرجع نفسه، ص 72.

(7): المرجع نفسه، ص 32 و33.

(10): **ينظر**: مريم جاوت، " **محمد ديب – هرم الابداع الذي ضيعه قومه** "، جريدة المساء، 2016/10/20، https://www.el-massa.com/dz/%D9%85%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA/%D9%87%D8%B1%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D8%B6%D9%8A%D9%91%D8%B9%D9%87-%D9%82%D9%88%D9%85%D9%87